

## برنامج عملي للفوز بمحبة الله (١)

### القرآن ودوره في إنشاء الإيمان

المعرفة هي طريق المحبة الصادقة لله عز وجل؛ ومع ذلك فإن المعرفة تحتاج دومًا إلى تذكير يتجاوب معه الفكر والعاطفة، هذا التذكير الدائم من شأنه أن يبذر بذور المحبة في القلب، ويشكّل قاعدته في المشاعر والوجدان.

ومع أهمية التذكير الدائم تأتي الأعمال الصالحة ذات الصلة بموضوع المحبة؛ لتكون بمثابة الماء الذي يسقي بذور المعرفة بالله الودود، فتتمو شجرتها ويرتفع بنياؤها، لتكون النتيجة هي استحواذ حب الله على أكبر قدر من مشاعر الحب داخل القلب، **{وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا}** [النساء: ٦٦].

### وسائل التذكير بمعارف المحبة:

ووسائل التذكير بمعارف المحبة ومظاهرها تتركز في أمرين عظيمين: كتاب الله المقروء، وكتاب الله المنظور.

### القرآن ودوره في إنشاء الإيمان والتذكير بمعارف المحبة:

القرآن هو أفضل وسيلة للتعريف بالله عز وجل والتذكير الدائم بمظاهر حبه لنا، وأفضل وسيلة كذلك لتحويل هذه المعرفة إلى إيمان يستحوذ على مشاعر الحب داخل القلب ويوجهها للمولى سبحانه، قال صلى الله عليه وسلم: **((مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُحِبَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَلْيَقْرَأْ فِي الْمَصْحَفِ))**(<sup>١</sup>).

نعم، هناك وسائل أخرى تقوم بالتذكير بهذه المظاهر، تقف على رأسها السنة، والتي تُعتبر شارحة للقرآن مؤكدة لما فيه، ومع ذلك يبقى القرآن الوسيلة العظيمة لدوام التذكير، وتقرير الحقائق، وإنشاء الإيمان، فهو دائم التعريف بالله عز وجل وبأسمائه وصفاته ومظاهر حبه لعباده.

ومع هذا التعريف نجد التكرار للمعنى الواحد بأساليب مختلفة؛ ليرسخ مدلوله في العقل الباطن للإنسان، فيشكل جزءًا من يقينه، **{وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا}** [الإسراء: ٤١]، وفي عرضه

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان، (١٥٣٣)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع، (٦٢٨٩).

للمعاني نجد أن العرض يخاطب العقل فيقنعه والمشاعر فيستثيرها، مما يحوّل الحقائق والقناعات الفكرية إلى إيمانٍ راسخ في القلب.

ومما يساعد القارئ على انتفاعه بالقرآن هو التزامه بما أمره الله به من تدبُّرٍ وتفهم لما يقرؤه من آيات، وكذلك ترتيبه لها، فالفهم والتدبر يخاطبان العقل فيقتنع، والترتيل يهزُّ المشاعر، فيمتزج بذلك الفكر مع العاطفة ليثمر يقيناً في العقل، وإيماناً في القلب، وهذا لا يتوافر في أي كتاب آخر على وجه الأرض، **{أَوْ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ}** [العنكبوت: ٥١]، يقول ابن رجب: (سماع القرآن يُنبتُ القرآنَ في القلبِ كما يُنبتُ الماءُ البقلَ)<sup>(٢)</sup>.

### تعرف على ربك:

القرآن الكريم هو أفضل وسيلة لغرس محبة الله في القلب، وإن إنشاء الإيمان في القلب من خلال القرآن لن يتم إلا إذا كان هدفنا حين نقرؤه أن نفهم ما نقرؤه - ولو بصورة إجمالية - وأن نجتهد في التأثر به من خلال الترتيل والتبكي مع القراءة، مع عدم إغفال أمر مهم أيضاً وهو كثرة قراءته، وإعطائه الأولوية الأولى في حياتنا؛ قال حذيفة بن اليمان: (اقرأوا القرآن بحزن، ولا تجفوا عنه، وتعاهدوه ورتلوه ترتيلاً)<sup>(٣)</sup>.

وبالإضافة إلى ذلك علينا ونحن نعيش في أجواء محبة الله عز وجل، وبعد أن تعرّفنا على كثير من مظاهرها أن نتبع هذه المظاهر ونحن نقرأ القرآن، فإن هذا من شأنه - إذا ما داومنا عليه - أن يؤكد ويرسخ مدلولها في اليقين، ويزيد الإيمان في القلب ويجوله إلى مقام ثابت.

نعم؛ علينا ألا نقف عند كل آية لنستخرج منها ما يدل على حب الله لعباده، حتى لا تتحول القراءة إلى عملية عقلية فكرية فقط، فالمطلوب - كما قيل سالفًا - هو مزج الفكر بالعاطفة، وتجاوب العقل مع القلب، وهذا يستدعي استمرارية وانسيابية القراءة ليتسرب تأثيرها شيئاً فشيئاً إلى المشاعر، حتى تصل في النهاية لمرحلة الانفعال والتأثر.

معنى ذلك أنه من المناسب أن نبحث عن مظاهر المحبة في القرآن بصورة إجمالية، لا تؤثر بالسلب على تدبرنا العام للآيات، ولا تجعلنا نقف عند كل كلمة، ولعل ما قيل في الصفحات السابقة من شأنه أن يستثير مشاعرنا، وينشئ داخلنا حالة شعورية لمحبة الله عز وجل، فإذا ما استثمرنا وجود هذه الحالة

(٢) مجموع رسائل ابن رجب، (٢/ ٤٧٤).

(٣) لمحات الأنوار، الغافقي، ص(٥٦٦).

ودخلنا بها إلى القرآن؛ فسجد ما يؤكدتها من آيات، وسنفاجاً وكأن محور القرآن الرئيس يدور حول هذا الموضوع.

إن القرآن هو أفضل وسيلة لتنمية حب الله في القلب والوصول لمرحلة الأنس به والشوق إليه سبحانه؛ يقول ابن رجب - رحمه الله - : (ومما يستجلب المحبة: تلاوة القرآن بالتدبر والتفكير، لا سيما الآيات المتضمنة للأسماء والصفات والأفعال الباهرات، ومحبة ذلك يستوجب به العبد محبة الله، ومحبة الله له)<sup>(٤)</sup>، فتتحقق **{مُحِبُّهُمْ وَمُحْبَوْنَهُ}**.

فالأمر واضح، والطريق مُعَبَّدٌ لتنمية حب الله في القلب، وكيف لا والقرآن بين أيدينا ولا يوجد أي شيء يحول بيننا وبينه، فكلما احتاجت لدينا مشاعرُ الشوق إلى الله وأردنا أن نسكنها، وكلما أردنا أن نأنس بالله ونزداد حباً له وتعلقاً به؛ فلنهرع إلى المصحف، نناجيه ونتحدث إليه - سبحانه - من خلال قراءتنا وتجاوبنا مع خطابه لنا.

فإن قلت: ولكن مشاعر الشوق إلى الله لا تحتاج عليّ كثيراً!!

الحل أيضاً في مداومة قراءة القرآن آناء الليل وأطراف النهار، لتزداد مساحة حب الله في قلوبنا شيئاً فشيئاً، فيثمر ذلك شوقاً مستمراً إليه، يجعل صاحبه في عجلة دائمة للاتصال بالله من خلال قراءة القرآن في الصلاة وخارج الصلاة، وكذلك في الدعاء والذكر والمناجاة: **{وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى}** [طه: ٨٤].

**وخلاصة القول:** إن أفضل شيء وأحب شيء نتقرب به إلى الله: قراءة القرآن بالتدبر والتفهم والترتيل والصوت الحزين - التباكي -؛ قال صلى الله عليه وسلم: ((ما تقرب العباد إلى الله بشيء أحب إليه مما **خَرَجَ مِنْهُ**))<sup>(٥)</sup>، وكلما ازداد حبُّ المرء لربه، ازداد حبّاً لكتابه ولكثرة قراءته، قال أبو سعيد الخزاز: (من أحبَّ الله أحبَّ كلامَ الله، ولم يشبغ من تلاوته)<sup>(٦)</sup>.

(٤) استنشق نسيم الأنس، ابن رجب، ص(٥٥).

(٥) رواه الحاكم في المستدرک، (٢٠٣٩)، وقال: صحيح الإسناد.

(٦) مجموعة رسائل الحافظ ابن رجب، (٢ / ٤٧).